

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -
دراسة تحليلية -

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -
دراسة تحليلية -

**The linguistic imprint of the Prophet - may God bless him and grant
him peace - and its impact on reading the noble Prophet's hadith - an
analytical study -**

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

wleed.ohammed@uomosul.edu.iq

ملخص:

تحديد البصمة اللغوية أسلوب من أساليب تحليل النص يسعى إلى الكشف عن هوية المتكلم من خلال تحليل النص المنسوب إليه وبيان مدى التطابق بين السياق اللفظي للنص ، وألفاظه ، وتراكيبه ، وأسلوب المتكلم في اختيار الألفاظ ، وأبنيتها الصرفية ، وتركيبها النحوي ، وتأليف النص ، وأداء الخطاب ، وتحديد البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، والبصمة اللغوية لكل راوي من رواة الإسناد الواحد يكشف عن أدلة لغوية يحتاج إليها المحدث والمفسر والفقهاء والمؤرخ في قراءتهم للحديث النبوي الشريف .
الكلمات المفتاحية: البصمة اللغوية ، تحليل النص ، اللسانيات التطبيقية ، الحديث الشريف .

Determining the linguistic fingerprint is a method of text analysis that seeks to reveal the identity of the speaker through analyzing the text attributed to him and showing the extent of correspondence between the verbal context of the text, its words, and its structures, and the speaker's style in choosing words, their morphological structures, their grammatical structure, the composition of the text, and the performance of the speech. Determining the linguistic imprint of the Prophet and the linguistic imprint of each narrator of a single chain of transmission reveals linguistic evidence

that the hadith narrator, interpreter, jurist, and historian need in their reading of the noble Prophetic hadith.

Keywords: linguistic imprint, text analysis, applied linguistics, noble hadith.

مقدمة

اللغة نظام دلالي ، يحكم العلاقة بين الدال والمدلول ، وتنشأ اللغة في المجتمع الواحد بوضع رمز لكل دال بحسب المدلول الذي يشير إليه^١ ، فتنشأ بذلك المفردات ، ولكل مجتمع لغة خاصة به ، لها مفرداتها ، وخصائصها التي تتميز بها عن غيرها من لغات المجتمعات الأخرى ، يطلق عليها في التراث العربي القديم: (اللسان) ، والمراد بقولهم (لسان العرب): لغتهم . وفي كل مجتمع جماعات كلامية ، لكل منها لغة خاصة بها^٢ ، لها خصائصها التي تتميز بها عن غيرها من لغات الجماعات الكلامية ، وتكتسب بعض الألفاظ - في عُرف الجماعة الكلامية - دلالات معينة مألوفة عند أفرادها ، غريبة عند غيرهم ، قال الجاحظ: ((السماكين الذين يعيشون على ضفتي شط العرب وشواطئ الخليج لهم ألفاظ خاصة وعبارات يتعاملون بها ويتفاهمون))^٣ ، وكذلك هو شأن سائر الفئات الاجتماعية ، التي تنتمي إلى طبقة النخبة ، العلماء ، الأدباء ، والكتاب ، والشعراء ، وقادة الرأي ؛ وتقع الفروق بين لغات الجماعات الكلامية الصغيرة التي تنتمي إلى جماعة كلامية أكبر ، كالشافعية والمالكية اللتان تنتميان إلى جماعة الفقهاء ، فكلمة (الغسل) عند الشافعية - بصفتهم جماعة كلامية - : (صَبُّ الْمَاءِ عَلَى الْمَغْسُولِ دُونَ عَرِكِ) ، وهي عند المالكية: (صَبُّ الْمَاءِ عَلَى الْمَغْسُولِ مَعَ الْعَرِكِ) ، وقد حفظ تاريخ العلوم الإسلامية جهوداً ركزت على دراسة اللغة الخاصة بجماعة كلامية معينة! ، منها جهود النَّسْفِيِّ^٤ (ت ٥٣٧هـ) في كتابه^٥ (طَلْبَةُ الطَّلَبَةِ فِي الْأَصْطِلَاحَاتِ الْفِقْهِيَةِ) ، وهو معجم لغوي فقهي ، جمع فيه المصنف

^١ فصول في علم اللغة ٢٤

^٢ ينظر: علم اللغة الاجتماعي ٤٥

^٣ البيان والتبيين

^٤ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النَّسْفِيُّ ، الحنفي ، وصفه الذهبي في سير أعلام النبلاء بقوله: (الْعَلَمَةُ الْمُحَدَّثُ) ، ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٦ ، ولسان الميزان ٤/٣٢٧ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ٢٧ ، شذرات الذهب ٤/١١٥ .

^٥ مطبوع ، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -

دراسة تحليلية -

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

الألفاظ التي تَرُدُّ في كتب الفقه الحنفي ، وكذلك جهود المطرزي^١ (ت ٦١٠هـ) في كتابه^٢: (المُغْرِبُ في ترتيب المُعْرَب) في ذات الموضوع والمذهب ؛ وصنَّف النووي (ت ٦٧٦هـ) كتاب (تهذيب الأسماء واللغات) ، تناول في القسم الذي خصصه للغة : الألفاظ التي وردت في كتب الفقه الشافعي .

ولكل فرد لغة خاصة به ، لها خصائصها التي تتميز بها عن غيرها من اللغات الفردية^٣ ، يطلق عليها (البصمة اللغوية) ، يستعمل فيها الفرد ألفاظاً معينة للتعبير عن معانٍ معينة ، تختلف عن المعاني التي تشمل عليها ذات الألفاظ عند غيره ، قال فندريس (ت ١٩٦٠م): ((من المُسَلَّم به ! أنه: لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تقترب))^٤ ؛ وقد حفظ تاريخ العلوم الإسلامية محاولة فريدة اعتنت بدراسة اللغة الفردية للشافعي ، قام بها الأزهري^٥ (ت ٣٧٠هـ) في كتابه^٦ (الزَّاهِرُ في غريب ألفاظ الشافعي) ، وهو معجم لغوي خاص بالألفاظ الفقهية التي وردت في الكتب التي صنّفها الشافعي ، جمعها المُرْزِي^٧ (هـ ٢٦٤هـ) في مختصره^٨.

والجماعات الكلامية تتفاوت في قوة تأثير لغاتها في صناعة الفكر ، والرأي العام ، فقوة تأثير الجماعات الكلامية التي تنتمي إلى فئة النخبة كالعلماء ، والمفكرين ، والأدباء ، أعظم تأثيراً من قوة تأثير الجماعات الكلامية من العوام ؛ وكذلك هو شأن الأفراد في الجماعة الكلامية الواحدة

^١ أبو الفتح ناصرالدين بن عبد السيد بن علي الخوارزمي الحنفي الشهير بالمطرزي ، لُقِّبَ بخليفة الزمخشري ، لأنه ولد في السنة التي مات فيها الزمخشري ، وفي البلدة نفسها ، وسار على طريقته في الاعتزال والدعوة إليه ، وتصنيفه لكتابه هذا بكتاب أساس البلاغة للزمخشري ، ينظر: مقدمة تحقيق كتاب المُغْرِب ٤

^٢ مطبوع ، حققه محمد فاخوري وعبد الحميد مختار ، وهو مختصر لكتاب (المعرب في اللغة) - بالعين المهملة - ، للمصنف نفسه ، وهو كتاب كبير الحجم ، نادر منذ زمن المصنف ، ألفه أولاً ، ثم اختصره وهذبه ورتبه على حروف المعجم ، وبعنوان جديد هو (المُغْرِبُ في ترتيب المُعْرَب) ، ينظر: مقدمة تحقيق كتاب: (المُغْرِب) ٦

^٣ اللغة ، فندريس ٢٩٥

^٤ المصدر نفسه ٢٩٥

^٥ أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى إسماعيل المزني ، الشافعي ، ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٢/٤٩٣

^٦ مختصر المزني في فروع الشافعية ، مطبوع ، تحقيق: محمد عبدالقادر الشاهين

^٧ أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني ، المصري ، الشافعي ، قال عنه الشافعي: ((المزني ناصر ناصر مذهبي)) ، ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٢/٤٩٢ ، وشذرات الذهب ٢/١٤٨ .

^٨ قال النووي عنه: ((أحد الكتب الخمسة المشهورة بين الشافعية التي يتداولونها أكثر التداول ، وهي سائرة في كل كل الأمصار)) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي

كالشافعي عند الشافعية ، فالرجل قد اجتمع فيه صفات نادراً ما تجتمع في رجل واحد ، إذ كان حجة في اللغة ، نشأ في مكة ، وكان العربية أول عهده في طلب العلم ثم تحول الفقه ، إذ أخذ الباه من الفقه المالكي عن الإمام مالك نفسه ، وكذلك فعل مع الفقه الحنفي إذ أخذ عن محمد بن الحسن ، ثم اضطرته الفتنة إلى التحول إلى مصر ، فأخذ عن الأفضال فيها ، وصنف كتباً ، تداولها الشافعية من بعده بالشرح المطولات ، وحواشيها ، ومختصراتها ، التي اشتملت على كلام أعلام الفقهاء من الشافعية الذين زاحم كلامهم كلام الشافعي نفسه ، حتى أصبح كلام الشافعي غريباً مبهماً ، فظهرت الحاجة إلى الوقوف على بصمته اللغوية ، إذ هي الأصل في الكلام في المذهب ، لذا صنف الأزهرى كتاب (الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي) سداً لهذه الحاجة .

وكما تزاحم كلام الفقهاء على كلام الشافعي ، فقد تزاحم كلام المحدثين على كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقد كان لكل منهم بصمته اللغوية المؤثرة في أسماء الرواة ، واصطلاحاتهم ، وفي ألفاظ الحديث ، فنشأ لذلك علم مصطلح الحديث الذي يدرس لغة المحدثين بصفتهم جماعة كلامية ، ونشأ علم الجرح والتعديل الذي يدرس تراجم الرواة ، وأحوالهم ، وعدالتهم ، وضبطهم ، فتبين من كان يؤدي الحديث باللفظ ممن يؤديه بالمعنى ، فتبين الفصيح ومن كان يلحن بسبب العجمة أو اللكنة .

والتحديات التي تعترض البحث في تعيين البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - تختلف في طبيعتها عن البحث في دراسة البصمة اللغوية لغيره ، مهما بلغت قوة تأثيره في الجماعة الكلامية التي ينتمي إليها ، وفي المجتمع الذي ينتمي إليه ، وأبرز هذه التحديات:

(١) رواية الحديث بالمعنى .

(٢) حال الألفاظ في كتب الحديث في ضوء حركة إصلاح الغلط ، والتصحيح ، والتحريف ، بالتهذيب في عصر نسخ المخطوطات ، وبالتحقيق في عصر الطباعة والنشر .

المبحث الأول

مجال الدراسة ، ونشأتها ، ومصطلحاتها:

اللغة: ظاهرة اجتماعية ، اعتنت بدراستها الحضارات المختلفة ، وتناولتها من جهات مختلفة وبمناهج متنوعة حتى مطلع القرن العشرين ، حيث ظهرت اللسانيات في الغرب البعيد ، لتجعل الدراسات اللغوية حقلين منفصلين:

● فقه اللغة

● علم اللغة (اللسانيات) .

أمّا فقه اللغة فهو حقل يبحث في خصائص لغة معينة ، فالعربية قد اعتنى بها اللغويون العرب ، وصنفوا في دراستها مصنفات ، منها (الخصائص) لابن جني (ت ٢٩٢ هـ) ، و(الصاحبى

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -

دراسة تحليلية -

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

في فقه اللغة) لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، و(فقه اللغة وأسرار العربية) للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ،
و(المُخَصَّص) لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) ، و(المُزهر في علوم العربية) للسيوطي (ت ٩١١هـ) ؛
وانفرد بعض أئمة اللغة في التّصنيف في باب من أبواب فقه اللغة كالتّصنيف في باب (الترادف)
مثل: كتاب (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) للأصمعي(ت ٢١٦هـ) ، وكتاب (الألفاظ) لابن
السكريت (ت ٢٤٤هـ) ، وكتاب (جواهر الألفاظ) لقدامة بن جعفر (ت ٣٧٧هـ) ؛ وكذلك فعلوا في
أبواب أخرى: (الأضداد) ، و(المشترك اللفظي) ، وقد أفاد منها المُفسّرون ، والمُحدّثون ، والفقهاء
في كتبهم ، كما أفادوا من مصنفات كتب إعراب القرآن ومعانيه ؛ وقد نشط كثير من الدارسين
والباحثين في العصر الحديث في التّأليف في (فقه اللغة العربية) منها: كتاب (فقه اللغة)
(ط ١٩٤٤) للدكتور عبدالواحد وافي ، و(فقه اللغة وخصائص العربية) (ط ١٩٦٤) لمحمد المبارك
، و(فقه اللغة العربية) د. كاصد ياسر الزبيدي (ط ١٩٨٧) ، و(فقه اللغة) د. حاتم صالح الضامن
(ط ١٩٩٠) .

أما علم اللغة (اللسانيات) فتعود فقد نشأ حديثاً في القرن الثامن عشر مع وليم جونز الذي
رصد شبيها بين اللغة الانكليزية من جهة ، ولغات آسيوية وأوربية من جهة أخرى ، فاستنتج من ذلك
وجود صلة تاريخية ، وأصل مشترك بينها^١ ، أما الانطلاقة الحقيقية لعلم اللغة فقد كانت مع ظهور
كتاب السويسري فردينان دي سوسير بعد وفاته في (١٩١٣م) في الولايات المتحدة الأمريكية حين
نُشر كتابه (فصول في علم اللغة) ، الذي جرّد فيه دراسة اللغة من الارتباط بالتاريخ ، والجغرافية ،
والمجتمع ، والفكر ، فمذهبه فيها هو أن اللغة تُدرّس دراسة بنيوية ، وصفية ، لذاتها ومن أجل
ذاتها ؛ ثم توالى ظهور اللسانية النظرية ، واللسانيات التطبيقية ، كنظرية الحقول الدلالية ورائدها
ليوناردو بلومفيلد (ت ١٩٤٩) ، ونظرية السياق ورائدها الانكليزي جون روبرت فيرث (ت ١٩٦٠م) ،
ونظرية النحو التوليدي التحويلي ورائدها الامريكي نعوم تشومسكي .

أما علوم اللسانيات التطبيقية فإنّ جذورها تمتد إلى أعماق تاريخية بعيدة ، ولكنها لم تكن
مستقلة في ميدان واحد حتى منتصف الأربعينات من القرن الماضي إذ صدرت عن معهد تعليم
اللغة الانكليزية في جامعة متشغان مجلة (علم اللغة التطبيقي) ، ثم أُسست مدرسة (علم اللغة
التطبيقي) في جامعة أدنبرة في أواخر الخمسينات ، فأخذ العلم الوليد بالانتشار في أرجاء العالم ،
وفي منتصف الستينات تأسس الاتحاد الدولي لـ (علم اللغة التطبيقي) ، ظمّ عشرات المؤسسات

^١ ينظر: مدخل إلى اللسانيات ١٠

البحثية والتعليمية التي يجمعها مؤتمر علمي كلَّ ثلاثة أعوام تُعرضُ فيه الأبحاث الخاصة بـ (علم اللغة التطبيقي)^١.

وقد تخصصت الدراسات التطبيقية في بعض المجالات حتى استقل بعضها بصفته علماً مستقلاً بذاته منها (علم اللغة الاجتماعي) ، وهو علم هجين ، ومدار الدراسة فيه حول الموضوعات التي تكون في المساحة المشتركة بين علم اللغة وعلم الاجتماع ، وهو يبحث تفاعل اللغة مع المجتمع ، ويتناول اللغات الخاصة بالفئات الاجتماعية والبيئات الثقافية ؛ أمّا العلم الآخر فهو (علم اللغة النفسي) ، وهو كذلك علم هجين ، ومدار الدراسة فيه حول الموضوعات التي تكون في المساحة المشتركة بين علم اللغة وعلم النفس ، وهو يبحث في التفاعل بين اللغة والعوامل النفسية ، والصفات الشخصية للفرد^٢.

ويتناول (علم اللغة الاجتماعي) موضوعات مختلفة ومتنوعة منها ، دراسة لغات الفئات الاجتماعية ، (الجماعات الكلامية Linguistic Communities) ، وهي لغات خاصة بالفئات الاجتماعية التي يتألف منها المجتمع الواحد الذي تجمعه لغة عامة ، واللغة الاجتماعية لها خصائص معينة تتميز بها عن غيرها من اللغات الخاصة بالفئات الاجتماعية الأخرى .

وقد خصَّ علماء (علم اللغة الاجتماعي) مفهوم الفئة الاجتماعية بمصطلح (الجماعات الكلامية Linguistic Community) وقربوا مفهومها من خلال تعريفات مختلفة ومتنوعة ، وكانت البداية مع ليوناردو بلومفيلد ، إذ تناول الجماعات الكلامية في فصل كامل في كتابه^٣ (اللغة) ، ومن تعريفات (الجماعة الكلامية ! تعريف (جون ليونز John Lyons) إذ عرفها تعريفاً مقتضباً ، قال: ((كل الناس الذين يستعملون لغة (لهجة) بعينها))^٤ ، أمّا (تشارلز هوكيت Charles Hockett) فقد عرفها بأنها: ((أية جماعة من الناس يتصل بعضهم ببعض سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وذلك عن طريق لغة شائعة بينهم))^٥ ، وقد اشترط (جون جمبرز John Gumperz) وجود اختلافات لغوية محدودة بين أفراد الجماعة الكلامية مع غيرهم من الناس الذي لا ينتمون إليها^٦ .

^١ ينظر: علم اللغة التطبيقي ٨

^٢ ينظر: علم اللغة التطبيقي ٩

^٣ ينظر: علم اللغة الاجتماعي ٤٥

^٤ علم اللغة الاجتماعي ٤٥

^٥ علم اللغة الاجتماعي ٤٥

^٦ علم اللغة الاجتماعي ٤٦

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -

دراسة تحليلية -

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

أمّا مادة علم اللغة النفسي فقد بدأت بالتشكل في النصف الثاني من القرن العشرين^١ ، وقد عرّف ديفيد كرسنال (David Crystal) علم اللغة النفسي في معجمه اللغوي النظري (A Dictionary of Linguistics and Phonetics) ، بأنه: ((فرع من فرع علم اللغة ، يدرس العلاقة بين السلوك اللغوي والعمليات النفسية التي يُعتقد أنها تفسر ذلك السلوك))^٢ ، وعرّفه جاك ريتشادز (Jack Richards) ، وجون بلات (John Platt) ، وهيدي بلات (Heidi Platt) في معجمهم اللغوي التطبيقي (Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics) ، بأنه: ((العلم الذي يهتم بدراسة العمليات العقلية التي تتم في أثناء استعمال الإنسان للغة فهماً وإنتاجاً ، كما يهتم باكتساب اللغة نفسها))^٣ ؛ وعرفه كرسنن مالمكجاير (Kreston Malmkjaer) ، وجيمس أندرسون (James Anderson) في موسوعتهم اللغوية (The Linguistics Encyclopedia) ، بأنه: ((العلم الذي تتكاتف فيه الرؤى والجهود اللغوية والنفسية لدراسة الجوانب المعرفية التي تُفسّر فهم اللغة وإنتاجها))^٤ ؛ وموضوع (علم اللغة النفسي): (النفسية): هو اللغة نفسها ، أي: دراسة اللغة والبحث فيها ، وصفاً ، وتحليلاً ، واكتساباً ، وتعلماً ، وتعليماً ، وأهدافه: فهم اللغة ، وإنتاج الكلام ، والتواصل اللغوي ، ومشكلات الكلام والقراءة .

أمّا (البصمة اللغوية) ، أو (اللغدية) ، أو (اللغة الفردية) فهي اختيارات مختلفة للباحثين في ترجمة مصطلح (Ldiolete) ، وهي مادة من مواد (اللسانيات الجنائية) التي استقلت بذاتها علماً عام ١٩٦٨ ، مع ظهور كتاب: (بيانات إيفانز) ، وهو كتاب يحكي قصة تحليل البصمة اللغوي لـ (إيفانز) وهو رجل أُدينَ بقتل زوجته وابنته ، فحكم عليه بالموت شنقاً ، عام ١٩٤٩ ، وبعد تنفيذ الحكم بثلاثة أعوام ، قام أستاذ اللسانيات (جان سفارتفيك) بتحليل (التصريحات الأربعة) التي أدلى بها المتهم في مدة التحقيق معه ، وقد رصد أستاذ اللسانيات علامات أسلوبية مختلفة بين تصريحه الأول بقتل زوجته وتصريحاته الأخرى ، إذ كانت متناقضة ، وبناء على نتائج تحليل البصمة اللغوية أعيدت المحاكمة وحكم عليه بالبراءة بعد تنفيذ حكم الإعدام فيه^٥ .

^١ علم اللغة النفسي ٢٧

^٢ علم اللغة النفسي ٢٨

^٣ علم اللغة النفسي ٢٦

^٤ علم اللغة النفسي ٢٦

^٥ البصمة اللغوية بين سلطة النص وجمالية الأسلوب ٦٣

وآليات تحليل (البصمة اللغوية) لفرد معين تقوم على رصد العلامات الدالة على أسلوبه في التعبير ، والمفردات التي يستعملها ، ونبره ، وتنغيمه ، وعيوبه في النطق ، أو الإملاء ، ورسم الحروف عند الكتابة ، وتأليفه للجمل ، وأساليبه في البيان: التشبيه ، والكناية ، والاستعارة ، والإيجاز ، والإطناب ، والتصريح والتعريض ، والالتفات ، ونحو ذلك من أساليب التعبير التي تتكرر في كلامه المكتوب تكراراً يمكن تصنيفه على أنه عادة من عاداته ، قال فندريس: ((من المُسَلَّم به! أنه: لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفتقر))^١.

والبصمة اللغوية سلوك يكتسبه الفرد من البيئة التي يكون فيها ، والأفراد الذين يتواصلون معه في المواقف الكلامية المختلفة ، ونتيجة لذلك يحدث التأثير في السلوك (Behavior Influence): ((يحدث عندما يفعل شخص ما أي شيء من شأنه أن يؤثر في سلوك شخص آخر ، وهذا يحدث باستمرار في مواقف مختلفة ، مثل التدريس ، والإعلانات ، وتربية الأطفال ، والحملات الانتخابية ، والتفاعلات الاجتماعية))^٢ ، والسلوك اللغوية مجموعة من العادات ، والعادة لفظ يطلق على كل ما يعتاد عليه الفرد في شؤونه الخاصة ، كعادته في الأكل والنوم ، ويعرفها الأصوليون بأنها: ((الأمر المتكرر من غير علاقة عقلية))^٣ ، يكتسبها الفرد بسبب تكرار الفعل الكلامي مراراً ؛ والعادة يكتسبها الفرد اضطراراً لا اختياراً حتى تكون ملكة ، قال ابن خلدون: ((حينما خالط العرب العجم حصلت لهم ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت لهم ومن الملكة الثانية للعجم ، فعلى مقدار ما يسمعون من العجم ويربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى))^٤ ؛ وقد أفاد كثير من الدارسين والباحثين من مخرجات الدراسات اللغوية الحديثة عامة ، ومخرجات تحليل البصمة اللغوية في مجالات:

(١) الأمن والتحقيقات الجنائية .

(٢) التحقيقات الأكاديمية العلمية والأدبية والانتحال وحقوق التأليف .

(٣) تحليل المحتوى في وسائل التواصل الاجتماعي .

وقد أفاد كثير من الباحثين من مخرجات الدراسات اللغوية في دراساتهم لنصوص القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، منها: (لغة الجسم في السنة النبوية - دراسة موضوعية)^٥ ،

^١ المصدر نفسه ٢٩٥

^٢ تعديل السلوك الإنساني ، د. جمال الخطيب ١٤

^٣ التقرير والتحبير ٢٨٢/١

^٤ المقدمة ٥٥٨

^٥ رسالة ماجستير ، محمد شريف الشيخ صالح الخطيب ، الجامعة الأردنية ٢٠٠٦

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -

دراسة تحليلية -

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

(سيمائية اللغة الصامتة للعين في صحيح البخاري)^١ ، و(لغة الجسد في السنة النبوية - لغة الأيدي انموذجاً)^٢ ، وتسعى هذه الدراسة إلى الإفادة من مخرجات البحث في البصمة اللغوية في تحليل البصمة اللغوية للنبي صلى الله عليه وسلم - .

المبحث الثاني

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم -

اللغة ملكة يكتسبها الفرد من محيطه ، وهي من الخصائص العقلية للفرد تتطور حسب نموه^٣ ، وتتأثر لغة الفرد بممارساته الاجتماعية ، وقد يكتسب أكثر من لغة واحدة من خلال ممارساته الاجتماعية ، فتسمى لغته الأولى اللغة الأم ، وتسمى الأخرى اللغة الثانية ، وتحليل البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - يعتمد على تحديد العوامل المؤثرة فيها ، وسوف نصنفها على أربعة أصناف: جغرافية ، وتاريخية ، واجتماعية ، وشخصية .

أما بحسب العوامل الجغرافية فالأصل في لغة النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها لغة قريش ، وهي لغته الأم ، لم يكتسب غير العربية ، ولغة قريش خصائصها: الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية ، وبها كان يتواصل مع أزواجه ، القرشيات وغير القرشيات ، وبها كان يتواصل مع أصحابه ، ولغة قريش كانت بمنزلة لغات العواصم ، إذ كانت مكة عاصمة العرب ، لأن العرب كان يقصدونها في موسم الحج كل عام ، ولغة قريش كانت أفصح لغات العرب لذلك كانت لغة التواصل في مكة .

أما بحسب العوامل التاريخية فإنّ عصر الاحتجاج في اللغة يمتد إلى مائة وخمسين سنة قبل الاسلام ومثلها بعده ، وهي حقبة طويلة ، عاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين عاماً ، وما حفظ من حديثه لم يتجاوز ثلاثاً وعشرين عاماً هي مدة النبوة ؛ والتطور اللغوي عامل مؤثر في اللغة ، وتكتسب اللغة في كل حقبة زمنية مفردات جديد ، وتهجر مفردات كانت مستعملة ، فينشأ ما يعرف بغريب اللغة ، وهي الألفاظ التي كانت مألوفة في حقبة زمنية مضت ، وقد هجرت ، أو اكتسبت دلالات جديدة فيما بعد .

١ أ.د. جهاد يوسف العرجا ، وأ عدي عاطف زعرب: الجامعة الإسلامية - غزة

٢ ريم خالد عبدالله السقاف ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبدالعزيز

٣ ينظر: اكتساب اللغة بين بياجيه وتشومسكي ومفهوم اللغة لدى دي سوسير .٣

أما بحسب العوامل الاجتماعية فإن الممارسات الاجتماعية التي أثرت في لغة النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت من جهتين ، الأولى: تتمثل بالوحي الذي كان يتلقى به القرآن الكريم ، والثانية: تتمثل باتصاله بأصحابه من غير قریش ، ولم يكتسب لغة أخرى غير العربية .
الخصائص التي انفرد بها - صلى الله عليه وسلم - :

وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - لغته وما اختص به ، وقد توسع أهل العلم في وصفها ، ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - عن نفسه : ((وأوتيت جوامع الكلم))^١ ، وقال الجاحظ : ((أنا ذاكرٌ بعد هذا فنأ آخر من كلامه صلى الله عليه وسلم ، وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة ، ونوّه عن التكلف))^٢ ، وقال القاضي عياض: ((وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف . أوتى جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ، وعلم أسنة العرب ، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله))^٣ .

مما نُقِلَ في وصف لغته - صلى الله عليه وسلم - ، يتعين كونه (المتكلم المثالي) ، وقد اعتمد اللغويون على فكرة المتكلم المثالي في تقديم اللغوي للحديث النبوي الشريف ، وأقرّهم أهل الحديث على ذلك ، وقبل سوق الأدلة من كلام المحدثين في مجالسهم مع اللغويين ، لا بد من الإشارة إلى أن القراءة النقدية الحديثة تستند في معيارها على فكرة (القارئ المثالي) التي استعارها رائد نظرية التلقي إيزر ، من مفهوم (المؤلف الضمني) للأمريكي واين بوث الذي عرضه في العقد السابع من القرن الماضي^٤ .

وممن صرّح بذكر الأصل في تصويب الحديث النضر بن شميل ، إذ قال: ((جاءت هذه الأحاديث عن الأصل معربة))^٥ ؛ وكان عبد الله بن المبارك يأمر من يكتب عنه الحديث أن يعرضه على لغوي يصوبه له ، قال: ((إذا سمعتم مني الحديث ، فاعرضوه على أصحاب العربية

^١ صحيح البخاري ٢٩٧٧

^٢ البيان والتبيين ٦٨

^٣ كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١ / ١٥٩

^٤ ينظر: فولغانغ إيزر وآلية إنتاج المعنى ١٣٨، مجلة جامعة تشرين المجلد ٣٣ ، العدد ١ / ٢٠١١ .

^٥ علوم الحديث ٢١٧

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -

دراسة تحليلية -

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

، ثم أحكموه))^١ ؛ وكان الأوزاعي يعطي كتبه إذا كان فيها لحن لمن يصلحها))^٢ . وروى الأعمش عن ابن مسعود قوله: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا)) وكان أبو عمرو ابن العلاء حاضراً في المجلس فقال: ((يتخولنا بالموعظة)) ، قال الأعمش: يتخولنا ، قال: يتخوننا ، قال: يتخولنا ، قال: يتخوننا ، ثم قال الأعمش وما يدريك؟ ، فقال أبو عمرو: ((إن شئت أن أعلمك أن الله لم يعلمك من العربية حرفاً أعلمتك ، فسأل عنه الأعمش فلما علم مكانه من العلم قربه وكان يسأله عن الأمر إذا أشكل عليه^٣ .

يظهر من هذه الشواهد أنّ إصلاح غلط المحدثين والرواة يقوم باعتبار الأصل في لغة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وهي الأفصح ، مثال ذلك: الغلط في لفظ (أَنْفَسَتْ) ، قال الخطابي ((قَوْلُهُ - صلى الله عليه وسلم - لَأُمِّ سَلَمَةَ حِينَ حَاضَتْ: (أَنْفَسَتْ) ، إِنَّمَا هُوَ بَفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِ الفَاءِ ، مَعْنَاهُ حِضَّتْ ، يُقَالُ: (نَفَسْتُ) إِذَا حَاضَتْ ، وَ (نُفَسْتُ) مَضْمُومَةَ النُّونِ ، مِنْ النَّفَّاسِ))^٤ ، وبهذا قال: ابن قتيبة ، وإبراهيم الحربي ، وابن الأنباري ، والهروي ، وابن الأثير ، والمطريزي ، والنووي ، وفي المسألة قول آخر حكاه أبو حاتم عن الأصمعي: وهو استعمال: (نُفَسْتُ المَرَأَةَ تَنْفُسُ) في الحيض والولادة ، وهي: (نُفَسَاءُ وَ نَفْسَاءُ) ، وبه قال: ابن القوطية ، وابن طريف ؛ وقال النووي: ((لغتان مشهورتان ، والفتح أفصح))^٥ .

الشاهد في المسألة: أنّ اللفظين لغتان مشهورتان ، كما صرح بذلك النووي ، وعيّن الأفصح من اللغتين وهي (فتح النون) ، وعلى ذلك يحمل مفهوم الغلط عند الخطابي ، ومن قال بالغلط قبله وبعده: أراد أن الغلط نسبة غير الأفصح إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، لا كون اللفظ بضم النون هو الغلط ، إذ هو مشهور .

والحكم على اللفظين في الروايتين للحديث الواحد بأنّهما لغتان دون تعيين الأفصح ! حكم ناقص ! ، والتعليل بأنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتحدث بلغات العرب ليس في محله ، ويرده الموقف الكلامي ، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - كان يخاطب أهله في فراشه بلغة قريش

^١ الكفاية في معرفة أصول علم الرواية للخطيب البغدادي ٥١٨/١

^٢ المصدر نفسه ٥١٧/١

^٣ ينظر: مجالس الزجاجي

^٤ إصلاح غلط المحدثين ٢٣

^٥ ينظر: الفتح المبين في تعقبات الخطابي في كتابه (إصلاح غلط المحدثين) - دراسة صرفية نقدية - ٣٧٧٦

٣٧٧٦

^٦ المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٤٦/٨ .

لا بلغات العرب ؛ واقتصار دراسة الألفاظ على حدود المستوى المعجمي والصرفي ينتج عنها أحكام فيها نظر ، ولا بد من اعتبار السياق والمقام والموقف الكلامي .
والغالب في النقد اللغوي لألفاظ الحديث الشريف يختلط فيه كلام اللغويين بكلام المحدثين ، وقراءة النقد اللغوي لألفاظ الحديث تحتاج إلى التفريق بين اللغويين بصفتهم جماعة كلامية ! ، والمحدثين بصفتهم جماعة كلامية مختلفة ، فلكل من الجماعتين موقف مختلف في ثنائية اللفظ والمعنى .

أما اللغويون فغرضهم من العناية بالكلام إصلاح الغلط ، وسلامة التعبير والفهم ، وقد نشأ الخلاف بينهم في ثنائية اللفظ والمعنى ! بحسب مواقفهم من الظواهر اللغوية ، كالمشترك اللفظي ، والترادف ، والتضاد ، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : ((ويسمى الشينان المختلفان بالاسمين المختلفين ، وذلك أكثر الكلام كرجل ، وفرس ؛ وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد ، نحو: عين الماء ، وعين السحاب ، ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو: السيف ، والمهند ، والحسام))^١ ؛ وقد وقع الخلاف بينهم في الترادف بين الاثبات والنفي ، فقد ذهب ابن فارس إلى إنكار الترادف في اللغة ، وأن لكل لفظ معنى خاص به ، قال : ((الذي نقوله في هذا ، أن الاسم واحد وهو السيف ، وما بعده من الألقاب صفات))^٢ ؛ أما أهل البيان فقد كان مدار أبحاثهم حول التفاضل في ثنائية اللفظ والمعنى ، باعتبار الشكل والمضمون ، وقد كانت البداية مع الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في العناية باللفظ ، إذ اعترض على أبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ) في استحسانه قول الشاعر :

لَا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتًا بَلَى
فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرَّجَالِ
كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا
أَفْطَعُ مِنْ ذَلِكَ لِدَلِّ السُّؤَالِ

قال الجاحظ: ((ذهب الشيخ إلى استحسان المعنى ، والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني ، إنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخيير اللفظ ، وسهولة المخرج))^٣ ؛ وكذلك هو شأن أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، فقد ذهب إلى أن المعنى يكفي فيه أن يكون صواباً ، أما الألفاظ فلا تكفي فيها الإفادة ، ولا بد من أن تتعدى الإفادة إلى الجودة ، والحسن ، والبهاء ؛ أما من فضل المعنى على اللفظ فقد أسند حُجَّتَهُ إلى أن إيصال المعنى هو المقصود بالخطاب ، وليس اللفظ سوى وسيلة لإيصاله ، قال ابن جني (ت ٣٢٢هـ) عن العرب : ((

١ الصاحبى ١١٦

٢ الصاحبى ٩٧

٣ الحيوان ٣/١٣١

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -

دراسة تحليلية -

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

المعاني أقوى عندهم ، وأكرم))^١ ؛ وتابعه في ذلك عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، إذ اعتمد على أساس الغاية والوسيلة ، قال: ((فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسّنها ، وحموها حواشيها ، وهذبوها ، وصقلوا غروبها ، وأرهفوها ، فلا تزيّن أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ ، بل هي عندنا خدمةٌ منهم للمعاني))^٢ .

فالمعاني قد تتقارب حتى لا يكاد يكون بينها إلا الفرق الدقيق الذي لا يلمحه إلا حديد البصر من أهل العلم بدقائق اللغة ، ومن خصائص العربية ثراؤها بالألفاظ التي يتوهم فيها الترادف لشدة التقارب بين معانيها ، وشدة التقارب بين ألفاظها ، وقد أفرد ابن جني لهذه الظاهرة باب: (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) ، استهله بالفرق بين^٣: (أَرَّ) و (هَزَّ) ، فكلاهما يدلُّ على الاضطراب والحركة ، ولكنهما يفترقان في أمرين: الأول: أن (الأَرَّ) أشدُّ في الاضطراب والحركة ، لذلك حُصَّ بالهمزة لأنها أشدُّ من الهاء ، إذ هي صوت مجهور بينما الهاء صوت مهموس ، الفرق الثاني: (الأَرَّ) يكون للبشر ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّرَّهُمْ أَزًّا ﴾ ، أما (الهَزَّ) فيكون لغيرهم ﴿ وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ ؛ أما أهل الحديث فإنَّ عنايتهم بألفاظ نسبية ، فهم يعنون باللفظ الذي يشتمل على معنى يفيد منه المُفسِّرُ في تفسيره ، والفقهاء في استنباطه للأحكام ، أكثر من عنايتهم باللفظ الذي لا يفيد منه المفسرون والفقهاء .

ولا يقتصر تحليل نص الحديث الشريف على نقد ألفاظه المفردة ، بل يتعدى ذلك إلى مستوى الخطاب بنقد متن النص برمته لأنه لا يتوافق مع كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - وإن لم يطعن في إسناده ، كما هو شأن حديث تميم الداري في الدجال وهو في صحيح مسلم ، الذي تكلم فيه كثير من أهل العلم بالاعتماد على تحليل الخطاب تحليلاً أسلوبياً .

المبحث الثالث

واقع الحديث النبوي الشريف

الحديث النبوي الشريف رسالة واضحة ، سبك النبي - صلى الله عليه وسلم - ألفاظها ، وحبك معانيها في نص معين ، للتعبير عن غرض معين ، وقد شارك في نقلها أفراد مختلفون ،

١ الخصائص ٢١٨

٢ دلائل الإعجاز ٣٨

٣ ينظر: الخصائص

ترك كل واحد منهم بصمته اللغوية التي أثرت في وضوح الرسالة التي يشتمل عليها النص ، من خلال التصرف في ألفاظها ، بتغيير شكل مفرداتها ، أو بالتقديم والتأخير فيها ، أو بالحذف منها ، أو بالزيادة عليها .

وقد مرت رواية الحديث النبوي الشريف بأطوار مختلفة في حقب زمنية مختلفة ، كان لكل حقبة زمنية مشكلاتها وأحوالها ، فأحوال رواية الحديث الشريف في حقبة المنع من التدوين من قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - ! تختلف عن أحوال الرواية بعد الأمر به في مطلع القرن الثاني من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ؛ وأحوال الحديث المدون ومشكلاته في عصر المخطوطات ونسخها تختلف عن أحواله في العصر الحديث عصر تحقيق المخطوطات ، والدراسة الوصفية لواقع الحديث الشريف في تقنضي تقسيمها على الحقب الزمنية الأربعة .

واقع الحديث قبل عصر التدوين:

حقبة منع الحديث من التدوين محصورة بين عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى مطلع القرن الثاني الهجري ، وفي هذه الحقبة كان رواة الحديث هم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين ، وقد برزت في هذه الحقبة ظاهرتان: ظاهرة رواية الحديث بالمعنى من قبل كثير من الصحابة ، وظاهرة اللحن من قبل الموالي من التابعين .

وقد اشتهر بعض الصحابة بحرصهم على رواية الحديث بلفظه ، ومن هؤلاء: عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ، وزيد بن أرقم ، وأبو أمامة - رضي الله عنهم - ، وقد ذكر بعضهم سبب حرصه على أداء الحديث بلفظه ، قال عمر - رضي الله عنه - : ((من سمع حديثاً فحدث به كما سمع فقد سلم))^١ ، وقال زيد بن أرقم الأنصاري - رضي الله عنه - : ((كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شديد))^٢ ، وقال أبو جعفر محمد الباقر: ((لم يكن من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحد إذا سمع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يزيد فيه ولا ينقص مثل عبدالله بن عمر))^٣ .

أما من اختار رواية الحديث بالمعنى فهم كثير ، وقد ذكر كثير منهم سبب العدول عن الرواية باللفظ ، قال حذيفة - رضي الله عنه - قال: ((إِنَّا قَوْمٌ عَرَبٌ ، نُورِدُ الْأَحَادِيثَ ، فَتُنَقِّمُ وَنُؤَخِّرُ))^٤ ، وقال المنذر بن مالك: ((قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ: إِنَّكَ تُحَدِّثُنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى

^١ تفسير القرطبي ١/٤١٢

^٢ الكفاية ٢٦٥

^٣ الكفاية ٢٦٥

^٤ تدريب الراوي ٢/١٠٠ ، وقواعد التحديث ٢٢٣

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -

دراسة تحليلية -

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

الله عليه وسلم - حديثاً عجيباً ، وإنما نخاف أن نزيد فيه أو ننقص ، قال: أردتم أن تجعلوه قرآناً؟ ، لا ، لا ، ولكن ! ، خذوا عتاً كما أخذنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -))^١ ، وقال الشعبي (ت ١٠٠هـ): ((قلت لابن عباس: إنك تحدثنا بالحديث اليوم ، فإذا كان من الغد قلبته ! ، فقال وهو غضبان: أما ترضون أن نحفظ لكم معاني الحديث ، حتى تسألونا عن سياقها))^٢ ؛ ولم تنحصر هذه الظاهرة في الصحابة وحدهم إنما تعدتهم إلى التابعين وتابعي التابعين ، يظهر ذلك من كلام أبي سعيد الخدري ، وابن عباس ، وقد أثر عن سفيان الثوري أنه قال: ((لو أردنا أن نحدثكم بالحديث كما سمعناه ما حدثناك بحديث واحد))^٣ .

أما ظاهرة اللحن في الحديث فقد ظهرت منذ عهد التابعين ، إذ كان منهم الموالي ، ومن مشاهير التابعين الموالي: نافع^٤ مولى عبد الله بن عمر ، وراويته ، فقد كانت في لسانه لكنة وعجمة^٥ ، وقد أُثِرَ عنه أَنَّهُ كان يَلْحَنُ ، قال إسماعيل بن أمية: ((كنا نرد على نافع اللحن فيأبى))^٦ ، لذلك كان الزهري يسأله عن الحديث ثم لا يكتبه عنه ! ، إنما كان يراجع فيه سالمًا بن عمر ثم يكتبه عن سالم ! حتى غضب نافع فقال: ((من يعذرنى من زهريكم ، يأتيني فأحدثه عن ابن عمر ، ثم يذهب إلى سالم ، فيقول له: هل سمعت هذا من أبيك؟ فيقول: نعم ، فيكتبه عن سالم ويدعني ، والسياق من عندي))^٧ ؛ ولكن لحنه لم يكن سوى اللكنة والعجمة التي في لسانه ، يظهر ذلك من سلوك الزهري نفسه ، إذ لم يتركه ويذهب إلى سالم مباشرة إنما كان يأتيه أولاً ثم يذهب إلى سالم للثبوت من صحة اللفظ ، وكان مالك يقول: ((إذا قال نافع شيئاً فاختم عليه))^٨ ، وقال البخاري: ((أصح الأسانيد: مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر))^٩ .

واقع الحديث الشريف في عصر التدوين:

١ جامع بيان العلم ٦٤/١

٢ المحدث الفاصل للرامهرمزي ٥٣٧

٣ الجامع لأخلاق الراوي ٣٢/٢

٤ وصفه الذهبي بقوله: ((الإمام المفتي الثبت عالم المدينة)) ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٩٥/٥

٥ ينظر: سير أعلام النبلاء ٩٨/٥ .

٦ سير أعلام النبلاء ١٠٠/٥ .

٧ سير أعلام النبلاء ٩٨/٥ .

٨ سير أعلام النبلاء ٩٨/٥ .

٩ سير أعلام النبلاء ٩٧/٥ .

بدأ عصر التدوين في مستهل القرن الثاني بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ، وفي هذا العصر انقسم شرط ضبط الرواية على قسمين: ضبط الصدر^١ ، وضبط الكتاب^٢ ، فأخذ الرواة يدونون ما يحفظون من حديث الصحابة والتابعين في صحائف وكتب ، ومنهم نافع مولى عبد الله بن عمر ، روى محمد بن عمر الواقدي عن جماعة قالوا: ((كان كتاب نافع الذي سمعه من ابن عمر صحيفة ، فكنا نقرأها))^٣ ، وهو مثال للتابعين الذين عاشوا أواخر عصر منع التدوين وبدايته .

وقد بدأ عصر التدوين ! وكتابة لمل تزل في طور النشأة ، فقد كانت الحروف بلا نقط ولا حركات ، وأما الحركات فقد وضعها أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) نقطاً ، سُميت فيما بعد بنقط الإعراب ، ثم وضع تلميذه نصر بن عاصم (ت ٨٩هـ) ويحيى بن يعمر (ت ١٢٩هـ) نقط الإعجام^٤ ، ولما اختلطت نقط الإعراب بنقط الإعجام قام الخليل بن أحمد بإبدال نقط الإعراب بالحركات ، فالكسرة المعروفة جعلها الخليل (ت ١٧٠هـ) ياءً صغيرة أسفل الحرف ، والضمة واواً صغيرة فوقه ، والفتحة ألفاً منبسطة ، وللسكون الميم من (جزم) ، وللشدة الشين من شدة ، والهمزة رأس العين ، والوصل من الصاد .

وقد برزت في عصر التدوين ظاهرتان ، الأولى: اختلاف مصطلحات الرواة ، والثانية: التصحيف والتحريف ، أما مشكلة مصطلحات المحدثين فقد نشأ لها علم مستقل (علم مصطلح الحديث) وهو العلم الذي يبحث في لغة أهل الحديث ، إذ هم جماعة كلامية لهم لغة اجتماعية تشتمل على مفردات خاصة تحمل دلالات خاصة بعلم الحديث ، كما يبين علم مصطلح الحديث اللغة الفردية للمحدث ، مثل الفرق بين: أخبرنا وأخبرني وحدثنا وحدثني وأنبأنا فلكل لفظ من هذه الألفاظ دلالة في لغة أهل الحديث ، وقد تستعملها المحدث في بشكل مختلف في لغته الفردية^٥ .

أما التصحيف والتَّحريف فقد يسلم منه كتاب ، قال ابن قتيبة الدينوري: ((ولا أعلم أحداً من أهل العلم إلا وقد أسقط في علمه ، كالأصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة وسيبويه والأخفش والكسائي والفراء ، وأبي عمرو الشيباني ، وكالأئمة من قرء القرآن ، والأئمة من المفسرين ، وقد أخذ الناس

^١ ضبط الصدر: قال ابن حجر: ((أن يُثبت ما سمعه ، بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء)) ، ينظر: نزهة نزهة النظر ٢٠٥

^٢ قال ابن حجر: ((وهو صيانة الراوي لكتابه منذ أدخل الحديث فيه ، أو قابله على أصل شيخه ، ونحو ذلك)) ، ينظر: نزهة النظر ٢٠٥

^٣ سير أعلام النبلاء ٩٧/٥

^٤ ينظر: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ١٤

^٥ ينظر: فصل: التمييز بين ألفاظ الأداء في المصطلح من كتاب الاقتراح في فن الاصطلاح لابن دقيق العيد

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -

دراسة تحليلية -

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

على الشعراء في الجاهلية والإسلام الخطأ في المعاني والإعراب وهم أهل اللغة وبهم يقع الاحتجاج ، فهل أصحاب الحديث في سقطهم إلا كصنف من الناس ؟))^١ ، وقال المُرْنِي: ((قرأت كتاب الرسالة على الشافعي ثمانين مرة ، فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ ! فقال الشافعي: هنيه ! أبي الله أن يكون كتاب صحيحاً غير كتابه)) ، وقال ابن رجب الحنبلي: ((ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير من صوابه))^٢ ، وقد كانت ظاهرة الغلط والتصحيف والتحريف سبباً في .

واقع الحديث الشريف في عصر التهذيب:

ركزت الجهود العلمية للمتقدمين على جمع المادة العلمية ، وتحليلها بهدف الوقوف على الأصول التي تجمعها ، والقواعد التي تحكمها ، فقد جمع أهل القراءات القراءات ، وجمع أهل الحديث الحديث ، وجمع أهل اللغة اللغة ، ثم جاء دور المفسرين والفقهاء والنحاة الذين وضعوا علوم التفسير والفقهاء والعربية ؛ أما جهود العلمية للمتأخرين فقد ركزت على تهذيب المادة العلمية المحفوظ ، وتهذيب المصطلحات العلمية ، وتهذيب المصنفات العلمية بالاستدراك عليها ، أو ضبط لغتها ، بإصلاح الغلط ، والتصحيف ، والتحريف ، ومن حل مشكلات المادة العلمية المحفوظة كالمشكلات التي اشتملت عليها المادة العلمية في كتاب: (الكمال في أسماء الرجال) للحافظ عبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠هـ) ، الذي هذبه الحافظ المزي (ت ٧٤٢هـ) ، واستدرك عليه بأن ذكر كثيراً من مشايخ الرواة وتلاميذهم ، في كتابه الذي سماه (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) ، الذي هذبه الذهبي (ت ٧٤٨هـ) في كتابه الذي سماه (تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال) ، ثم جاء الحافظ ابن حجر (ت ٧٧٣هـ) واختصر كتاب المزي في كتابه: (تهذيب التهذيب) وزاد عليه بفوائد كثيرة ؛ أما في تهذيب اللغات فقد صنف النَّسْفِيُّ كتاب (طَلْبَةُ الطَّلَبَةِ في الاصطلاحات الفقهية) ، وهو معجم لغوي فقهي ، جمع فيه المصنف الألفاظ التي ترد في كتب الفقه الحنفي ، وكذلك فعل المطرزي في كتابه: (المُعْرَبُ في ترتيب المُعْرَبِ) في ذات الموضوع والمذهب ؛ ولكل كتاب من هذه الكتب فوائده ، فللمتقدمين فضل السبق في التأصيل ، وللمتأخرين فضل الزيادة والضبط ؛ وحركة التهذيب دائمة مستمرة لا نهاية لها مادام وسائل البحث العلمية وأساليبه ووسائله في تطور .

واقع الحديث الشريف في تحقيق المخطوطات:

^١ ينظر: مقدمة (تأويل مختلف الحديث) .

^٢ مقدمة كتاب (القواعد الفقهية) .

أما في عصر الطباعة الذي خرجت فيه المصنفات العلمية والأدبية من عالم المخطوطات والنسخ ، إلى عالم المطبوعات والنشر ، وهو العصر الذي أحدثت فيه الآلة الفارق بين القديم والحديث ، فالنسخ اليدوي للمصنفات العلمية لا ينتج نسخاً متطابقاً للكتاب الواحد ، وإنما ينتج نسخاً تشتمل على سقطات النسخ ، لذلك فإن كل نسخة تحتاج إلى مراجعة لوحدها ، أما في عصر الطباعة فمراجعة واحدة لنسخة واحدة تكفي لإنتاج نسخ متطابقة للكتاب الواحد ، ورصد السقط والغلط والتصحيح والتحريف في نسخة يثبت وجوده في النسخ كلها .

وكما برزت ظاهرة تهذيب التهذيب في عصر المخطوطات ! ، فقد برزت ظاهرة تحقيق التحقيق في عصر الطباعة والنشر ، إذ أعاد كثير من التأخرين تحقيق الكتب التي حققها المتقدمون من المحققين لأسباب كثيرة مختلفة ومتنوعة ، منها أسباب فنية متعلقة بفن التحقيق ، ومنها أسباب علمية متعلقة بالمادة التي يتناولها الكتاب .

وقد يراجع المحقق العلمي كتابه بنفسه ، ويصوب ما فيه من الخطأ ويُعيدُ نشر الكتاب في طبعة لاحقة ، ومن ذلك ما وقع للشيخ الألباني في كتاب (صحيح الترغيب والترهيب) ، ففي طبعته الأولى أخطأ في الحكم على رجلين بالضعف ، وهما:

(١) عبدالله بن لهيعة المصري .

(٢) دراج بن سمعان أبو السمح المصري .

ولذلك حكم على أحاديثهما بالضعف ، وفي الطبعة الأخيرة من الكتاب نفسه ، رجع عن تضعيفهما ، وصحَّح أحاديثهما ، ولم يكتف بذلك ، ولكن غيّر منهجه في تصنيف صحيح الترغيب والترهيب ، إذ جعل الأحاديث في طبعته الأولى مرتبتين: صحيح وحسن ، أما في الطبعة الأخيرة فقد جعلهما خمسة مراتب: صحيح ، وحسن ، وحسن صحيح ، وصحيح لغيره ، وحسن لغيره ؛ وقد علل الشيخ الألباني بصدور بعض المطبوعات والمصورات من كتب الحديث التي اشتملت على علم تغير به حال الرجلين من كونهما ضعيفين إلى أن يكونا تقنين ، من هذه الكتب: صحيح ابن حبان : الإحسان ، ومسند أبي يعلى ، وكشف الأستار عن زوائد البزار وغيرها كثير ، ومن المصورات: المطالب العلية المسنة ، لابن حجر العسقلاني ، وتفسير ابن أبي حاتم ، والطب النبوي لأبي نعيم وغيرها من المصورات^١ .

يبدو من هذا المثال! ، أن كتب الحديث المطبوعة تحتاج إلى خدمة اللغويين كحاجتها إلى خدمة المحدثين ، وأن التثبت من حال الألفاظ ! لا يقل أهمية عن تثبت المحدثين من حال الرواة .

^١ ينظر: مقدمة صحيح الترغيب والترهيب ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١ ، ٢٠٠٠ .

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -

دراسة تحليلية -

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

خاتمة:

بعد هذه القراءة لواقع الحديث النبوي الشريف يظهر أنّ الخدمة اللغوية للحديث النبوي الشريف في كل حقبة كانت في نشاط يتناسب مع نشاط المحدثين ، المتقدمين والمتأخرين ، وفي العصر الحديث الذي بدأ بالطباعة التي نقلت كتب الحديث من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات ! ، ووصل إلى حقبة الذكاء الاصطناعي ! الذي نقل كتب الحديث من عالم المطبوعات الورقية إلى عالم المنشورات الرقمية ! ، الذي أفادته منه العلوم الطبيعية ، والعلوم الإنسانية في مجالات مختلفة ، وأقاموا بها مشاريع علمية مختلفة ومتنوعة ، يبدو أنّ خدمة لغة النبي - صلى الله عليه وسلم - تحتاج إلى مشاريع خاصة مثل مشروع جمع ألفاظ النبي - صلى الله عليه وسلم - في معجم واحد ، من الأحاديث المتواترة تواتراً لفظياً ، ومن الأحاديث التي اجتهد فيها الرواة بنقل نص الحديث الشريف باللفظ ، كالألفاظ التي يتعبد بها ، ومرويات مالك عن نافع عن ابن عمر ونحوها .

نسأل الله التوفيق والسداد

المصادر والمراجع:

- إصلاح غلط المحدثين ، أبو سليمان حمد بن محمد بن الخطاب الخطابي ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، بيروت ، لبنان .
- الاقتراح في بيان الاصطلاح ، تقي الدين ابن دقيق العيد ، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٦ .
- البصمة اللغوية بين سلطة النص وجمالية الأسلوب ، العبادي عبد الحق ، مجلة جامعة ابن خلدون ، المجلد ٦ ، العدد ١ ، ٢٠٢٢
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق: عبدالسلام هارون .
- تأويل مختلف الحديث ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي ، دار ابن القيم ، دار ابن عفان ، ط٢ ، ٢٠٠٩
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، مكتبة الكوثر .
- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق: السيد الشرقاوي ، راجعه: رمضان عبدالنواب ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٧
- تعديل السلوك الإنساني ، جمال الخطيب ، دار حنين ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، الأردن
- التقرير والتحرير ، ابن أمير الحاج الحلبي ، تحقيق: عبدالله محمود محمد عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- تهذيب الأسماء واللغات ، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- جامع بيان العلم وفضله ، أبو عمر يوسف بن عبدالبر ، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، ١٩٩٤ .
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، تحقيق: محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية .
- الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيقك عبدالسلام هارون ، ط٢ ، ١٩٦٥ .

الخصائص

- دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق: محمود محمد

شاكر

البصمة اللغوية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأثرها في قراءة الحديث النبوي الشريف -

دراسة تحليلية -

م.د. وليد محمد نجم عبدالله

-
-
- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: حسان عبدالمنان ، بيت الأفكار الدولية
 - الصاحبى في فقه اللغة العربية ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان .
 - صحيح الترغيب والترهيب ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ١ ، ٢٠٠٠
 - علم اللغة الاجتماعي
 - علم اللغة التطبيقي ، د. عبده الراجحي ، دار المعرفة ، ١٩٩٥ .
 - علم اللغة النفسي ، د. عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي ، ٢٠٠٦
 - علوم الحديث ، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري ، تحقيق: نورالدين عتر ، دمشق .
 - الفتح المبين في تعقبات الخطابي في كتاب (إصلاح غلط المحدثين) - دراسة صرفية -
 - علم اللغة العام ، فيردينان دي سوسير ، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٥ .
 - فولغانغ إيذير وآلية إنتاج المعنى ، مجلة جامعة تشرين ، المجلد ٣٣ ، العدد ١/٢٠١١
 - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ، ط ١ ، ٢٠٠٤ .
 - القواعد الفقهية ، ابن رجب عبدالرحمن بن أحمد الحنبلي ، تحقيق: د. محمد علي البنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٨ .
 - كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، تحقيق: عامر الجزائر ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .
 - الكفاية في علم الرواية ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي .
 - اللغة ، ج . فندريس ، ترجمة: عبدالحميد الدواخلي ، محمد القصص ، مكتبة الأنجلو المصرية .
 - مجالس العلماء ، أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي ، تحقيق: عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي .
 - مختصر المزني في فروع الشافعية ، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المصري المزني ، محمد عبدالقادر شاهين ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، بيروت ، لبنان .
 - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، أبو محمد الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي ، تحقيق: أبو همام محمد بن علي الصومعي البيضاني .

- مدخل إلى اللسانيات ، د. محمد محمد يونس علي ، دار الكتاب الجديد ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، بنغازي ، ليبيا .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، مؤسسة قرطبة ، ط٢ ، ١٩٩٤ .
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، أحمد بن علي ، بن محمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق: د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ، ط١ ، ٢٠٠١ .